مقتطفات من كتاب
فاطمة الزهراء والفاطميون
عباس العقاد



إليك لأنك تعرف لماذا!!!؟

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)
https://cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com

وأشبه الأشياء بأن يكون – بين الروايات المتعددة– أن النبى عليه السلام كاشف رئيس أسرته أن يتقدم لخطبتها ففعل وخطبها خطبة عزيز قوم لعزيزة قوم، وقال وهو يفاتح عمها في الأمر: «..إن محمدًا ممن لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح به شرفا ونبلا وفضلاً وعقلاً، وإن كان فى المال قُلاً فإنما المال ظل زائل وعارية مسترجعة، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك» فقال عمها عمرو، أو ابن عمها ورقة بن نوفل فى رواية أخرى: «هو الفحل الذى لا يقدع أنفه»[٩]. وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله، ولم يتزوج عليها فى حياتها إلى أن قارب الخمسين.

فلما ولد الحسن سماه والداه حربا فجاء رسول الله فقال: أرونى ابنى ما سميتموه؟ قالوا: حرب! قال: بل هو حسن، وهكذا عند مولد الحسين، وعند مولد المحسن، وقد مات وهو صغير.

وقد جعل من عادته أن يبيت عندهم حينا بعد حين، ويتولى خدمة الأطفال بنفسه وأبواهم قاعدان. ففى إحدى هذه الليالى سمع الحسن يستسقى فقام صلوات الله عليه إلى قربة فجعل يعصرها فى القدح ثم جعل يعبعبه، فتناول الحسين فمنعه وبدأ بالحسن، قالت فاطمة: كأنه أحب إليك؟ قال: إنما استسقى أولاً!

وقد يلفهم جميعًا فى برد واحد فيقول لهم: «أنا وأنتم يوم القيامة فى مكان واحد».

وكان الأب الأكبر يتولى صلحهما فى كل خلاف، وربما ترك مجلسه بين الصحابة ليدخل إلى الأخوين المتخاصمين فيرفع ما بينهما من جفاء. والصحابة الذين يتتبعون فى وجه النبى كل خالجة من خوالج نفسه، ويبيحون أنفسهم أن يسألوه؛ لأنه لا يملك من ضميره ما يضن به على المتعلم والمتبصر، يجرون معه على عادتهم كلما دخل البيت مهموما وخرج منه منطلق الأسارير، فيسألونه فيجيب: «ولم لا وقد أصلحت بين أحب الناس إلىّ»..

والله ما ورث أبوك دينارًا ولا درهما وإنه قال: إن الأنبياء لا يورثون. فقالت: إن فدك وهبها لى رسول الله ﷺ، قال: فمن يشهد بذلك؟ فجاء على بن أبى طالب فشهد وجاءت أم أيمن فشهدت أيضًا، فجاء عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف فشهدا أن رسول الله ﷺ كان يقسمها. فقال أبو بكر: صدقت يا بنت رسول الله، وصدق على، وصدقت أم أيمن، وصدق عمر ، وصدق عبد الرحمن بن عوف، وذلك أن مالك لأبيك، كان رسول الله يأخذ من فدك قوتكم ويقسم الباقى ويحمل منه فى سبيل الله، فما تصنعين بها؟ قالت: أصنع بها كما يصنع بها أبى! قال: فلك على الله أن أصنع كما يصنع فيها أبوك، قالت: الله لتفعلن؟ قال: الله لأفعلن. قالت: اللهم اشهد.. وكان أبو بكر يأخذ غلتها فيدفع إليهم منها ما يكفيهم ويقسم الباقى، وكان عمر كذلك، ثم كان عثمان كذلك، ثم كان على كذلك».

وأحبته وودت لو يخطبها مع الخطاب، وعرَّضت له بذلك فى حديث أقرب إلى التلميح منه إلى التصريح.

وأحجم النبى حياء وأحجمت هى عن التصريح، ثم أوعزت إلى صديقة لها– هى نفيسة بنت منية– أن تشجعه على الخطبة. فسألته نفيسة ذات يوم: «ما يمنعك أن تتزوج؟» قال: «قلةُ المال». قالت: «فإن كُفيت ودعيت إلى المال والجمال والكفاءة؟» قال: «ومن تكون؟» قالت: «خديجة» قال: «فاذهبى فاخطبيها».

ومن جملة الأخبار يتضح أن النبى عليه السلام كان يبقيها لعلىٍّ رضى الله عنه. فقد خطبها أبو بكر وعمر فردهما وقال لكل منهما: أنتظر بها القضاء، أو قال إنها صغيرة كما جاء فى سنن النسائى.

وفى أسد الغابة أنها لما خطبها أبو بكر وعمر وأبى رسول الله قال عمر: «أنت لها يا على!» فقال على: «ما لى من شيء إلا درعى أرهنها» فزوجه رسول الله فاطمة، فلما بلغ ذلك فاطمة بكت، ثم دخل عليها رسول الله فقال: «مالك تبكين يا فاطمة! فوالله لقد أنكحتك أكثرهم علما وأفضلهم حلما وأولهم سلما».

وكانت هذه الأبوة الكبيرة أعز عليهم جميعا من أبوة الأب الصغير، فكانت فاطمة تقول إذا رقصت طفلها:

وابــأبى شبــــه النبـــى   لس شـبـيـهـا بـعـلـى

وكانوا يتغايرون على هذا تغاير المحبين الذين يتنافسون على حب لا يمنع بعضهم بعضا أن يتنافسوا عليه.

ومرة من هذه المرات، بلغ العتاب غاية ما يبلغه من خصومة بين زوجين، ونمى إلى فاطمة أن عليا يهم بالزواج من بنت هشام بن المغيرة، فذهبت إلى أبيها باكية تقول: «يزعمون أنك لا تغضب لبناتك؟».

كلمة تعلم وقعها فى نفس أبيها الذى ما زعمت هى قط أنه يرضى بما يغضبها، وقد عرف أبوها ما تعنى؛ لأن بنى هشام بن المغيرة استأذنوه فى تزويج بنتهم من زوج فاطمة، فصعد المنبر والغضب باد عليه، وقال على ملأ من الحاضرين: «ألا إن بنى هشام بن المغيرة استأذنونى فى أن يُنكحوا ابنتهم عليا، ألا وإنى لا آذن.. ثم لا آذن.. ثم لا آذن.. إنما فاطمة بضعة منى يُريبنى ما رابها..».



وفى خلال الخلاف على هذه القضية قال عمر لأبى بكر: «انطلق بنا إلى فاطمة فإنا قد أغضبناها». فانطلقا فاستأذنا عليها فلم تأذن لهما، فأتيا عليًا فكلماه، فأدخلهما. فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام، فتكلم أبو بكر فقال: «يا حبيبة رسول الله، والله إن قرابة رسول الله أحب إلى من قرابتى، وإنك لأحب إلى من عائشة ابنتى، ولوددت يوم مات أبوك أنى مت ولا أبقى بعده، أفترانى أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله؟ ألا إنى سمعت أباك رسول الله ﷺ يقول: «لا نورث . ما تركناه فهو صدقة». فقالت: «أرأيتكما إن حدثتكما حديثًا عن رسول الله تعرفانه وتعملان به؟» قالا: «نعم». فقالت: «نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضاء فاطمة من رضائى وسخطها من سخطى؟» قالا: «نعم سمعناه من رسول الله». قالت: «فإنى أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتمانى وما أرضيتمانى، ولئن لقيت النبى لأشكونكما إليه». فقال أبو بكر: «أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة»، ثم انتحب يبكى حتى كادت نفسه تزهق.. ثم خرج فاجتمع إليه الناس فقال لهم: «يبيت كل رجل منكم معانقا خليلته مسرورًا بأهله وتركتمونى وما أنا فيه؟ لا حاجة لى فى بيعتكم. أقيلونى بيعتى».

والحديث فى مسألة فدك هو كذلك من الأحاديث التى لا تنتهى إلى مقطع للقول متفق عليه. غير أن الصدق فيه لا مراء أن الزهراء أجلّ من أن تطلب ما ليس لها بحق، وإن الصديق أجل من أن يسلبها حقها الذى تقوم البينة عليه، ومن أسخف ما قيل إنه إنما منعها فدك مخافة أن ينفق علىٌّ من غلتها على الدعوة إليه، فقد ولى الخلافة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ولم يسمع أن أحدًا بايعهم لمال أخذه منهم، ولم يرد ذكر شىء من هذا فى إشاعة ولا فى خبر يقين، وما نعلم من تزكية لذمة الحاكم فى عهد الخليفة الأول أوضح بينة من حكمه فى مسألة فدك، فقد كان يكسب برضى فاطمة ويرضى الصحابة برضاها، وما أخذ من فدك شيئًا لنفسه فيما ادعاه عليه مدع، وإنما هو الحرج فى ذمة الحكم بلغ أقصاه بهذه القضية بين هؤلاء الخصوم الصادقين المصدقين، رضوان الله عليهم أجمعين.

أن محمدًا يبكى؛ لأنه يرى أحب الناس وأقربهم منه جائعة مرهقة، ثم لا يملك لها ما يشبعها ويعفيها من عنائها، وهو يملك كل شىء فى الجزيرة العربية.. ويسأل السائلون من زعانفة المعطلين والمتعصبين أعداء كل دين «وما برهان النبوة عند محمد !؟».

الله أكبر.. إن لم يكن هذا برهان النبوة فبرهان أى شىء يكون؟

وكانت تشكو حينا بعد حين، ويعودها النبى يواسيها فى مرضها فإذا هو يواسيها كذلك فى حاجتها، زارها يومًا وهى مريضة فقال لها:

«كيف تجدينك يا بنية؟» فقالت: «إنى لوجعة». ثم قالت: «وإنه ليزيدنى أنى ما لى طعام آكله.. فاستعبر عليه السلام وقال: «يا بنية!.. أما ترضين أنك سيدة نساء العالمين!».

وزارها يوما وهى تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الإبل، فبكى وقال: «تجرعى يافاطمة مرارة الدنيا لنعيم الآخرة».

وحضرها الموت.. وخذلتها جوارحها، وعزيمتها فى مواجهة الموت حاضرة لا تخذلها، فتولت أمر غسلها وحملها على النعش بنفسها، وقالت لصاحبتها أسماء بنت عميس بعد أن اغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل «يا أمَّه! ائتينى بثيابى الجدد»، فلبستها ثم قالت: «قد اغتسلت، فلا يكشفن لى أحد كنفا»[1]، وشكت نحول جسمها فقالت لصاحبتها: «أتستطيعين أن توارينى بشىء؟» قالت: «إنى رأيت الحبشة يعملون السرير للمرأة ويشدون النعش بقوائم السرير» فعمل لها نعشها قبل وفاتها، ونظرت إليه فقالت: «سترتمونى ستركم الله..» وتبسمت، ولم تُر مبتسمة بعد وفاة أبيها إلا ساعتها..

فى كل دين صورة للأنوثة الكاملة المقدسة يتخشع بتقديسها المؤمنون كأنما هى آية الله فيما خلق من ذكر وأنثى..

فإذا تقدست فى المسيحية صورة مريم العذراء، ففى الإسلام لا جرم تتقدس صورة فاطمة البتول.

رووا أن الصديق رضى الله عنه قام على المنبر يخطب الناس، فما هو إلا أن حمد الله وأخذ فى خطبته حتى سمع وسمع الحاضرون معه صوتًا نحيلاً يهتف: «ليس هذا منبر أبيك، انزل عن منبر أبى..».

والتفتوا فإذا بالصائح هو الحسن بن على، ولما يبلغ الثامنة، فابتسم الصدّيق وقال والحنو يشيع فى نفسه: «ابن بنت رسول الله؟ صدقت والله .. ما كان لأبى منبر، وإنه لمنبر أبيك»..

وسمع على بالخبر فأرسل إلى أبى بكر رسولاً يقول له: «اغفر ما كان من الغلام، فإنه حدث، ولم نأمره».

[redacted]

قال أبو بكر: «إنى أعلم. وما اتهمت أبا الحسن».

وليست الزهراء ولا ريب هى التى أمرت الغلام الصغير أن يقول هذا المقال.. ولكن الطفل يفهم عن أمه فى هذه السن ما يغنيه عن الأمر والإيحاء، ولعل الحسن كان قد سمع نقاشًا يتكرر بين أبويه فى هذا الأمر، فوقر فى نفسه أن يثور تلك الثورة الصغيرة، ثم نُهى عنها فلم يعاودها..

وقد أنكر العباسيون نسب الفاطميين وزعموا أنهم ينتسبون إلى ميمون القداح ابن ديصان الثنوى القائل بالإلهين، وتلقف التهمة كل ناقم على الفاطميين وهم صنوف ينتمون إلى كل مذهب ونحلة[1]، منهم كما أسلفنا الإخشيديون والأغالبة والأمويون والأندلسيون، وزاد عليهم من كان تابعا للفاطميين ثم تمحل[2] المعاذير للخروج عليهم كوالى مكة وبعض رؤساء العشائر فى الجزيرة العربية، بل قيل إن أناسا من العلويين شهدوا عليهم بادعائهم النسب فى على وفاطمة عليهم السلام، ونسب إلى الشريف أبى الحسين محمد بن على المشهور بأخى محسن الدمشقى أنه كتب رسالة فى تفنيد دعواهم ينكرها المقريزى وينسبها إلى عبدالله بن رزام..

وقد وضع كتاب عن «قرة قوش» صوره للناس فى صورة الطاغية الذى لا يبالى ما يأمر به من المستحيلات والغرائب وغفل الكثيرون عن موضع الفكاهة من تلفيقات الرواة، فحسبوها كلها جدًا لا مرية فيه، وتناقلوها وأضافوا إليها، ولم يزالوا يرددونها على هذا الفهم الخاطئ إلى زمن قريب، وقد كان «قره قوش» على خلاف ما صورته الروايات عنه مثلاً فى الحزم وأصالة الرأى وحسن التدبير.

فقيام الدولة الفاطمية فى الواقع نموذج لقيام الدول بالحول والحيلة، ولو استغنى التاريخ بدولة واحدة عن دول كثيرة لكانت هذه الدولة حسبه من عبره وأطواره وتدبيراته ومصادفاته. ولسنا فى صدد الإفاضة فى هذه الدراسة بتفصيلاتها وفروعها، ولكننا نطرق منها فى هذه العجالة ما له علاقة بالانتساب إلى الزهراء وما له علاقة بآثارها الباقية فى هذا البلد؛ لأنه البلد الذى شهد من الدولة الفاطمية أهم أدوارها وأفخم عهودها، وكانت مخلفاتها فيه أبقى المخلفات فى تاريخها الحديث.

ولم يقصر المؤرخون المنكرون عن القوم فى العنف والسباب فقال صاحب كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين عن الفاطميين إن المعروف عنهم أنهم «بنو عبيد، وكان والد عبيد هذا من نسل القداح الملحد المجوسى، وقيل: كان والد عبيد هذا يهوديًّا من أهل سلمية من بلاد الشام، وكان حدادًا، وعبيد هذا كان اسمه سعيدًا، فلما دخل المغرب تسمى بعبيد الله وزعم أنه علوى فاطمى، ثم ترقت به الحال إلى أن ملك وتسمى بالمهدى، وكان زنديقًا خبيثًا عدوًّا للإسلام متظاهرًا بالتشيع متسترًا به حريصًا على إزالة الملة الإسلامية، قتل من الفقهاء والصالحين جماعة كثيرة، وكان قصده إعدامهم من الوجود ليبقى العالم كالبهائم فيتمكن من إفساد عقائدهم، ونشأت ذريته على ذلك منطوين يجهرون به إذا أمكنتهم الفرصة وإلا أسرّوه، والدعاة منبثون لهم فى البلاد، وبقى هذا البلاء على الإسلام من أول دولتهم إلى آخرها، وفى أيامهم كثرت الرافضة وأفسدت عقائد طوائف من أهل الجبال الساكنين بثغور الشام، وأخذت الإفرنج أكثر البلاد بالشام والجزيرة إلى أن منّ الله على المسلمين بظهور البيت الأتابكى وتقدمه مثل صلاح الدين فاستردوا البلاد وأزالوا هذه الدولة..».

فمن زمن والناس فى المشرق يفهمون أن الإسماعيلية هى كلمة مرادفة للباطنية، ويلصقون بالإسماعيلية كل ما لصق بالباطنية من المساوئ والمنكرات، ومن الفضائح والقبائح، وهى فى الواقع كثيرة منفرة لا تحتاج إلى جهد كبير فى التنفير والتشهير. [redacted]

وساعد على لصوق التهمة بالفاطميين أن بعض المجاهرين بالإباحة والاجتراء على مناسك الدين الإسلامى كالقرامطة فى البحرين كانوا يعلنون التشيع للإسماعيليين، أو بعبارة أخرى للفاطميين، فوقر فى الأذهان أن دعاة الإسماعيلية جميعًا إباحيون، وأن الباطنية هى إخفاء المنكرات وإعلان التشيع للتغرير والتضليل.

ومحصل القول فى المذهب الإسماعيلى من الوجهة الفلسفية أنه هو مذهب الفيض الإلهى كما اعتقده المتصوفة المسلمون من أصحاب الدعوات السياسية وغير أصحاب الدعوات السياسية، يضاف إليه القول بعصمة الإمام وأنه وحده القادر على التأويل الصحيح والإحاطة ببواطن التنزيل، وينبغى أن نذكر هنا أن القول بالعصمة الواجبة لكل إمام كان مذهبًا من مذاهب الفلسفة فى حكومة المدينة الفاضلة، فإن الفيلسوف الفارابى الذى كان يلقب بالمعلم الثانى قد طلب لإمام المدينة الفاضلة كمال العقل والعلم والخيال والذوق والخلق والخلقة، ولعله لهذا كان قريبًا من الشيعة محبا للمتشيعين.

وقد كان ابن هانئ الأندلسى من هؤلاء الذين يتعاطون الفلسفة ويهرفون[٢] فيها بما لا يعرفون، ولم تكن حذلقته مقصورة على مذهب الإسماعيلية بل هى طبيعة نشأت معه فى موطنه، ولغط بالفلسفة وهو يتصل بصاحب إشبيلية فأقصاه خوفًا من اتهامه بمشاركته فى أضاليله وخزعبلاته، ولما مدح المعز الفاطمى بقصيدته الرائية التى قال فى مطلعها:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار
فاحكم فأنت الواحد القهار

لم يكن يريد أن يقول إن المعز أقدر من الله وإلا لما قال بعد ذلك:

وكأنما أنت النبى محمد
وكأنما أنصارك الأنصار

أشرنا فى الفصل السابق إلى التغير الذى طرأ على نظام الدعوة الإسماعيلية بعد دخول الحسن بن الصباح فى زمرتها، وسنرى من جملة الأخبار والأعمال التى رويت عن ابن الصباح أن الرجل من أصحاب تلك الشخصيات التى لا تتصدى لدعوة من الدعوات إلا أضافت إليها شيئًا من عندها وطبعتها بطابعها، وأنه لم يكن من أولئك الذين يتعلقون بدولاب كبير يديرهم إلى وجهته، بل كان من الذين يديرون الدولاب إلى وجهتهم حين يتعلقون به، ولا يدفعهم إلى التعلق به إلا أنهم لا يستطيعون أن يخلقوا لأنفسهم دولابًا مستقلاً يتعلق به الآخرون.

استولى الحسن على قلعة «آلموت» فى سنة ٤٨٣ هجرية ومات فى سنة ٥١٨ هجرية، فظل مالكا لتلك القلعة باسطا نفوذه على ما حولها خمسا وثلاثين سنة، لعله كان خلالها أقوى رجل فى الديار الإسلامية من مراكش إلى تخوم الصين.

من هذه الأعاجيب أن الحسن بن الصباح عرف سر الحشيش من أستاذه الطبيب ابن عطاش فسخره فى نشر دعوته، وأنه توسل به لإقناع أتباعه برؤية الجنة عيانا؛ لأنه كان يدير عليهم دواخين الحشيش ثم يدخلهم إلى حديقة عمرت بمجالس الطرب التى يتغنى فيها القيان وتتلاعب فيها الراقصات ثم يخرجهم منها وهم فى غيبوبة الخدر ويوقع فى وهمهم ساعة يستيقظون أنه قد نقلهم إلى جنة الفردوس وأنه قادر على مرجعهم إليها حيث يشاء، وأنهم إذا ماتوا فى طاعته ذاهبون بشهادة أعينهم إلى السماء.

إن الحسن بن الصباح كان معروفًا بالصرامة والشدة على نفسه وعلى أتباعه، وكان يتنسك ويتقشف رياضة أو رياء أمام أتباعه وتلاميذه، ولم يكن من اليسير فى تلك القلاع المنفردة أن يخفى أمر القيان ومجالس الراقصات والغناء زمنا طويلاً دون أن يطلع عليه المقربون إن لم يطلع عليه جيرة القلعة أجمعون، وليس من المعروف عن مدخنى الحشيش أن يحفظوا وعيهم ويفقدوه فى وقت واحد، وأن يتلبس عليهم كلهم أمر العيان والسمع هذا الالتباس، وليس من المعروف عن الحشيش أنه يهيئ صاحبه لمواقف الإقدام على المخاطر والإصرار عليها شهورًا أو سنوات.

ولم يذكر عن ملك فى أحوال العقيدة ما ذكر عن هذا الحاكم بأمر الله، ويأمره، ويأمر المأمورين والأمراء.

فمن مؤرخى القبط من يقول إنه مات على النصرانية، ومنهم من يقول إنه كان يعبد المريخ ويتوهم أنه يراه ويتحدث إليه، ومن مؤرخى السنة من يقول إنه ادعى الربوبية، ومن أتباعه اليوم من ينفى الموت عنه ويزعم أنه صعد إلى السماء ليعود إلى الأرض فى آخر الزمان، وأطبقت النقائض على تاريخ حياته بتاريخ وفاته، فلم يعلم أحد متى مات وكيف مات.

ولم أستفد منه بحمد الله كراهية أحد ذى حق أو ذى فضل؛ لأن قداسة العظمة الإنسانية تحجب عندى جميع هذه الصغائر التى تمس تواريخ العظماء أجمعين، وولعى بدراسة تواريخ العظماء من طفولتى الباكرة عصمنى بحمد الله من غوائل[1] هذا الصَّغار[2]..

تــلــوا بــاطــلا وجــلــوا صــارمًــا

وقــالــوا: صــدقــنــا؟ فــقــلــنــا : نــعــم!

سبحانك اللهم وبحمدك
نشهد أن لا إله إلا أنت
نستغفرك ونتوب إليك

إلى لقاء مع ملخص لكتاب جديد

حسابات حدوتة كتاب

للاند رويد
https://play.google.com/store/apps/details?id=com.BookHdotah

للكمبيوتر والايفون
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/Book_show_simple.php

يوتيوب
https://www.youtube.com/channel/UCTG5AYoNunvwpHnPEybZxRg

فيسبوك
https://www.facebook.com/hdoott

واتساب
https://chat.whatsapp.com/GRX8q4psOOVEsaVTvcYLeD

تلجرام
https://t.me/Book_hadotah

شاركونا كتبكم على هذا الرابط
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/coments_form.php

او في قسم (شاركنا كتاب) بقائمة التطبيق

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)



www.cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com
+201001490077 - +96890968355